الباب السادس

دور مدارس تعليم عمارة البيئة
في إعادة تأهيل المناطق ذات القيمة في المدينة العربية

تمتلك المدن العربية نموذجاً متميزاً من التراث ذو القيمة على مستوى العالم. تتعدد توجهات الرغبة في الحفاظ على ذلك التراث، ومن ثم تعددت الجهات المسؤولة عنه، فهناك الهيئات الحكومية والمعاهد التابعة للجامعات والمنظمات غير الرسمية . حتى الآن، لم يلتفت إلى دور التعليم الجامعي في القيام بالمساهمة في مسؤوليات الحفاظ وإعادة التأهيل على ذلك التراث العمراني الفريد، وذلك على الرغم من تعدد المقررات المدرسية التي تعمل على ذلك، بل إن هناك بعض أقسام كليات الهندسة والعمارة والتخطيط تعتبر أن هذا المنهج يجب أن يكون ضمن أهم محاور تعليم طلابها.

يقدم هذا الباب بعض ملامح التجربة العربية في قسم عمارة البيئة بكلية العمارة والتخطيط جامعة الملك فيصل بالسعودية بهدف الإشارة إلى بعض مبادئ وأسس التعامل مع مشروعات إعادة التأهيل، والوصول إلى منهج صياغة برامج الحفاظ وكيفية تنفيذ هذه البرامج. أما المساهمة هنا فهي التعريف بشكل الدور الذي يمكن أن يقوم به طلاب قسم عمارة البيئة للمساهمة في برامج الحفاظ على المناطق ذات القيمة.

١. المناطق ذات القيمة– مفاهيم وأفكار

يقدم هذا الفصل شرحاً موجزاً للمفاهيم والأفكار التي تتضمنها هذه الدراسة.

١. ١ في المفاهيم– عن القيمة والمناطق ذات القيمة والتراث والآثار

القيمة أهي مفهوم أم مضمون؟ القيمة أهي احتياج أم ضرورة؟ القيمة هي كل عزيز لدينا له في النفس مقدار، يطفو بنا فوق الكل، يحلق في عنان السماء، يجوب الأفاق، يتجاوز الحلم والوسيلة، تسانده الفضيلة والإيمان، تعمقه الأحداث والمواقف والتجارب. الحياة قيمة، العمل قيمة، الحلم قيمة، والقيمة هنا كل ما يحمل من مفاهيم القيم الإنسانية المستمدة من طبيعة الفطرة يدعمها بعمق الدين، فالسلعة ذات قيمة والمال، والجاه، والممتلكات والناس كمان نسبياً لا ننكر أن لها قيمة، أيضاً المكان له قيمه، قد يستمد المكان قيمته من التاريخ من التذكارات والآراء، من الأحداث والناس، من الزمن والأيام، من الفكرة والابتكار، من الروعة والإبداع، ولكن يبقى أنه له قيمة.

obeikandl.com

أما المناطق ذات القيمة فهو مفهوم أطلق في الحاضر القريب على الأمكنة القديمة في المدينة العربية التقليدية، تلك الأمكنة التي تحمل بعد الزمن كأساس وبعدي الحضارة والثراء في البناء معنى ومحتوى، هي كل مكان فيه موجودات ذات قيمة مثل بناء قديم له تاريخ، مرت فيه أحداث، أوتراكمت عليه متغيرات العصور، كل مكان ما زال يحمل في جوانبه خبرات الماضي القديم وجمال البناء، كل مكان فيه العمارة والعمران إبداع. وثمة تأكيد في هذا المفهوم- أعني المناطق ذات القيمة- على أن يجب أن تكون فيه موجودات ذات قيمة من: بناءات معمارية مثل: المساجد والقصور والقلاع والأسوار والبوابات ومنشآت الحياة اليومية كالسكن والعمل والإدارة، أو بناءات عمرانية مثل: كتلة بنائية فيها نسيج متضام، يتعانق فيه المبني والمفتوح، يضم شوارع وأسواق وساحات. (الشكل ١) و(الشكل٢)

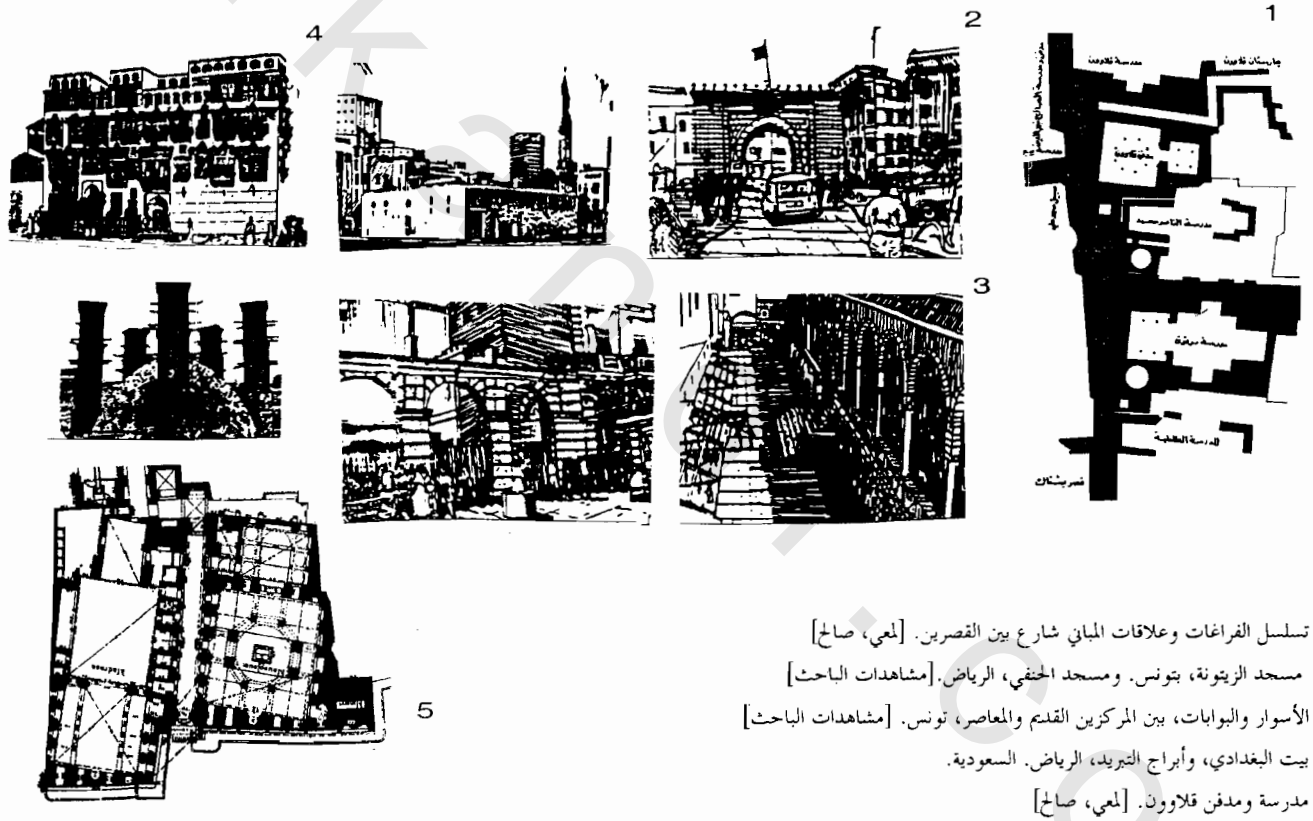

١- تسلسل الفراغات وعلاقات المباني شارع بين القصرين. [لمعي، صالح]
٢- مسجد الزيتونة، بتونس. ومسجد الحنفي، الرياض.[مشاهدات الباحث]
٣- الأسوار والبوابات، بين المركزين القديم والمعاصر، تونس. [مشاهدات الباحث]
٤- بيت البغدادي، وأبراج التبريد، الرياض. السعودية.
٥- مدرسة ومدفن قلاوون. [لمعي، صالح]

(شكل ١) بعض ملامح المناطق ذات القيمة

1

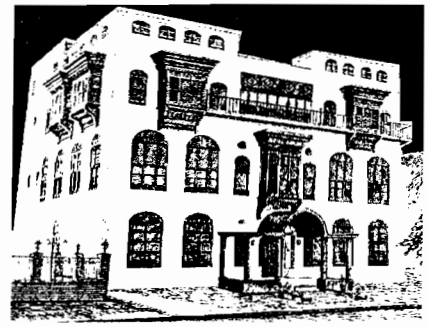
2

3

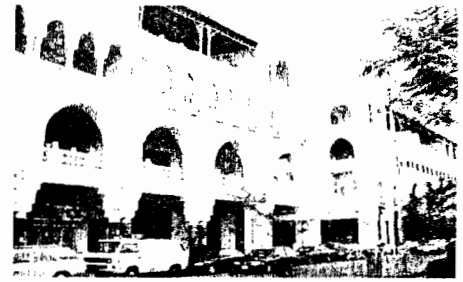
5

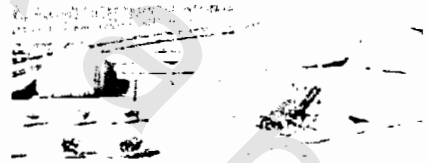

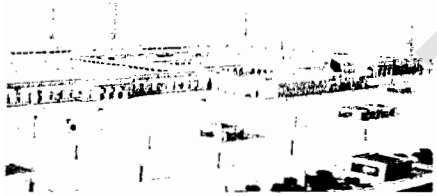
6

7

8

١- الجامع الأزهر، القاهرة، مصر.
٢- المباني التقليدية القديمة، جدة، السعودية
٣- الفناء الداخلي لواحد من البيوت التقليدية، القاهرة، مصر
٤- عمارات البواكي، مصر الجديدة، مصر.
٥- مكتبة الإسكندرية. مصر. [المصدر: الانترنت]
٦- الحرم النبوي الشريف، المدينة المنورة، السعودية.
٧- قلعة محمد علي، القاهرة، مصر.[المصدر: الانترنت]
٨- واحدة من بوابات سور القاهرة القديم، مصر.

(شكل ٢) بعض ملامح المناطق ذات القيمة [من مشاهدات الباحث]

التعريف السابق إذن يتكلم عن المناطق التي بها تراث بنائي، قد تتواجد في تلك المناطق آثار لتضيف للمفهوم معنى آخر، فالتراث هو المخزون المعرفي والحضاري المتراكم عبر الزمن، وعلى مر التاريخ، بجهد الأفراد والمجتمعات، والمدينة العربية بكاملها تراث. بينما الأثر هو كيان مادي قد لا يحمل تراكم ولكنه يعبر عن شئ وجد في الماضي وما زال في الحاضر مثل المسلة المصرية أو حدائق بابل المعلقة أو سور الصين العظيم. (الشكل ٣)

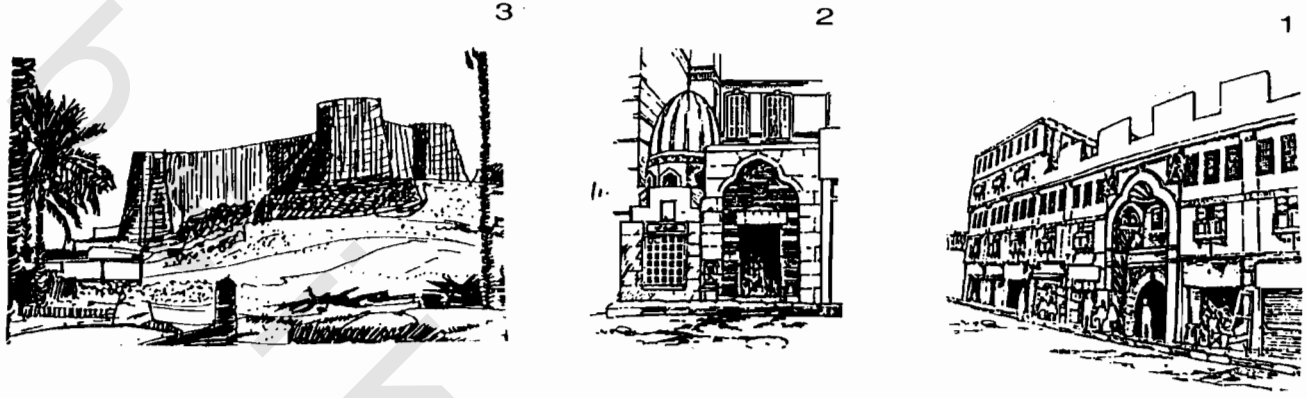

(شكل ٣) التراث والآثار كيانات مادية موجودة

يمكن التعايش مع التراث والعيش فيه، يمكن تطويره وإعادة تأهيله، يمكن الحفاظ عليه وممارسة الحياة فيه ومعه. لا يقبل الأثر إلا الصيانة والترميم، وترك الحال كما هو، دون تعدي أو إضافة. ولا يخفى على الناس مدى ما تحمل المدن العربية من كم تراثي وآثري في كل مراحلها الزمنية. المدن العربية قديمة، بدأ بها التاريخ، واستمر، ترامت أطرافها في جانب المشرق والمغرب العربي، في الخليج ومركز الكون حيث مكة المكرمة (زادها الله تشريفاً) والمدينة المنورة. بلدان العالم العربي قاطبة، تحمل أكثر من نصف آثار العالم وتراثه الخالد (شاء البعض أم أبى)، وهي تحمل تراث متراكم في مدنها ابتداءً بحضارة المصري القديم (الفرعوني)، وحضارات ما بين النهرين في بابل وأشور، ووفدت عليها الحضارات السومارية والبابلية، واستوعبت حضارات الإغريق والرومان، وطورت فيها، وملكت بها العالم الحضارة الإسلامية أم الحضارات الحديثة ونبع العالم الحديث لينهل منها. دامت الحضارة الإسامية أربعة عشر قرناً، وهي باقية بأذن الله ما دامت الأرض ومن عليها، خرجت من مكة الأرض المقدسة وفاضت على بلدان العالم، ابتدعت تراث بنائي لا يمكن إنكار تميزه واختلافه عن تراث البناء السابق له والتالي له أيضاً.

يحمل العمران المبني على الإسلام مقومات لم تكن تحملها من قبله عمارة أو عمران. استمد هذا البناء قيمته من القيم الإنسانية الراسخة في الإسلام، وتعاليم هذا الدين الحنيف، بداية من عقيدة التوحيد، وعلاقة الإنسان برب السماوات والأرض، الواحد القهار، وبما تحمل من تعاليم فيها قيم مثل: العلاقة بين أفراد الأسرة، ومكانتها، ومكانة المرأة والطفل وخصوصيتهم الشديدة والحقوق والواجبات، وتنظيم المعاملات في البيت والشارع والسوق. ولعله من الملفت للنظر، أنه لم يأت عمراناً منذ فجر التاريخ وحتى عصرنا الحاضر يحمل مقومات القيمة مثل ما بلغ ذروته في العمارة العربية التي صاغها المسلمون، بل أن التجارب الغربية فيها الكثير من التجربة العربية، وطورها، وبات يلاحقنا بها على أنها من إبداعاته.

١. ٢ أفكار التعامل مع المناطق ذات القيمة

المناطق ذات القيمة في العالم العربي كنوز، هي ثقافة ومعارف علوم، تراث وآثـــار، فيها من البناء ما يكفي المعماريين العـــرب للدراســـة بهدف المحافظة والصيانة طول الوقت. أما ما جاءت به معارف العصر الحديث من علوم ومجالات جديدة في محل التعامل مع المدن مثل التصميـــم العمراني وعمارة البيئة ففيهما ما يفتح أفاق شاسعة للمهنيين فيهما لممارسة إبداعاتهم وأفكارهم للحفاظ على المناطق ذات القيمة. إعادة التـــأهيل واستعادة حيوية هذه المناطق داخلها وحول الموجودات ذات القيمة فيها مسؤولية معماري الجماعة والبيئة، وعليهما أن يبحثا عن طرائق التـــأهيل التي تتناسب مع قيم المدينة العربية، وعليهما البدء في الاهتمام بكل الأمكنة التي تقع فيها وحولها، وإبراز قيمة المكان ودعم مكان القيمة فيها.

أولاً – قوى الحياة والموت في المدينة العربية

نعم، الحياة والموت، الحقيقة الوحيدة في تاريخ الإنسانية، قال تعالى: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام." يمـــوت الإنسان والكائنات الحية وفق تقدير إلهي محسوب، لحكمة لا يعلمها إلا الله، أيضا يموت المكان، بعد أن يمر بمراحل التطور المعتادة من الجديـد إلى القديم إلى المتدهور والفناء المحتم، قد يستغرق موت البناء فترات أطول من صانعه ليظل شاهدا أحيانا عن عظمة هذا الإنسان أو تخلفه، حركـــة البناء حياة، رعاية المكان حياة، ترك المكان للتدهور والانهيار موت، يشترك الناس في البناء والهدم. وكما يكون الموت راحة للناس، أحيانا يـــأتي الموت للبناء ليكون فيه متسعا للجديد. يأتي الموت بغتة للإنسان لا فرق عنده بين شيخ أو شاب، بينما البناء يشيخ مع الزمن، يموت فجأة فقـــط إذا كان هناك عيب فيه، هو أيضا يتداعى وينهار ويفقد وظائفه الواحدة بعد الأخرى، قد تخرب كل أعضاؤه ويظل يحيـــا، يحمـــل البنـــاء روح الإنسان وعطاؤه، يحمل هذا السر الكامن وراء معنى الجمال.

قد يكون الجمال إذن في روح المكان وبمقدار العلاقة الحميمة والأصيلة بين الناس والمكان. نشأت المدن شابة قوية ببنيانها المادي المصنـــوع بجهد الإنسان، كانت ملبية في الزمن الماضي لاحتياجات مستعمليها، تطورت الاحتياجات وزاد الناس، تقلصت المدن عليهم، خنقتهم، اعتـــدوا عليها بالزحام والحركة وتلوث الهواء والضوضاء والمخلفات، انهارت الأنهار والبحار، غابت الطبيعة وراء بناء الإنسان بغير رحمة، رحلت الحيـــاة الفطرية بغير رجعة، ازداد ظلم الإنسان للمكان، بنى المصانع، اجتاح المناطق الخضراء والمفتوحة (رئة المدينة)، رفع البنيان وتجاوز السحاب، حفـــر الأنفاق وعلا الكباري، سادت حركة الآلة، انكمش الإنسان من أفعال الإنسان، تدهور البناء ليس فقـــط بعامل الزمن، فمن الزمن البعيـــد لا تزال الآثار الباقية تدل على أنها يمكن أن تعيش طويلا، لولا تدخل الإنسان ليجعل من أعمارها قصيرة.

obeikandl.com

ثانيا– اتجاهات التعامل مع المناطق ذات القيمة

ما يزال هذا السر الكامن، المحير في روح المكان القديم، يطل على الزائر هناك ويدعوه ليستمتع بما خلفه الأجداد. تنبه الإنسان المعاصر إلى أن المدينة تحتضر، وأن الخروج منها رحمة لها ولمن يرغب في أن يعيش. أنشأ المدن الجديدة، خرجت الصناعات والملوثات، مهدت الطرق إليها. وراحت تظهر في الأفق تأثير دعوات المهتمين بالمدن أمثال: المعماري الفرنسي (فيوليه لو دو دوك) Violet Le Duc ودعوته لترميم الآثار ذات الأهمية، والإيطالي (كاميللو بويتو) Camillo Boito الذي دعا لتعميم مفهوم المحافظة والصيانة على الآثار لجعلها باقية ولبس الغرض إعادتها إلى حالتها الأصلية، عمت فكرة الحفاظ على النطاق المكاني المهم أو الذي له قيمة مستمدة من التاريخ والذكريات، وأصبحت النظرة شاملة للمكان بكامله باعتباره كيان متكامل[١]. إذن سيكون الاهتمام ليس بالمبني فقط وترميمه أو صيانته، لكن المكان بمنشآته وفراغه المفتوح.

تعددت الدعوات في الغرب نحو إعادة التأهيل rehabilitation للأمكنة المفتوحة، وهي تتشابه في المسمي بين الإنسان الذي أصيب بعلة ويعاد تأهيله ليمارس العيش مرة أخرى وفق الظروف المحيطة وبالإمكانات المتاحة له، جوهره يعني بالتعامل مع هذه الأمكنة وفق ظروفها هي، أي دون تحميلها طاقات قد تقضي عليها فهو يعني بالحفاظ على المنشآت ولا مانع من ترميمها وتحسين حالتها، الاستفادة بموارد المكان الكامنة فيها كالمنشآت والخدمات والعناصر ذات القيمة والطرقات وقوى الطبيعة والإنسان. عملية إعادة التأهيل تكون للمناطق ذات القيمة وتتم خلالها عملية الارتقاء upgrading برفع كفاءة البنية الأساسية والخدمات وإعادة تحسين المكان improvement.[٢]

يستفيد الناس من إعادة تأهيل مناطقهم ذات القيمة لعدة أسباب منها: ربطهم بالماضي الجميل وتعريفهم بتطورات الحياة خلال العمارة مرآة المكان، تهيئة البيئات الخارجية المفتوحة حول المنشآت ذات القيمة يعطيها ميزة تجديد الاستعمال والاستفادة من الفراغ، بث روح الحياة مرة أخرى في المكان يسعد الناس بمدينتهم، ويبين مواضع الجمال فيها، قد تكون هذه المناطق محطات لتشجيع السياحة وتحقيق عائدا ماديا للمكان.

٢. تعليم مهنة عمارة البيئة وإعادة التأهيل– التجربة السعودية

تكاد كل المدارس المعمارية في العالم العربي أن تفرد مقررا دراسيا أو أكثر لتعليم مبادئ الحفاظ على التراث المعماري والعمراني، أما في التجربة السعودية في قسم عمارة البيئة، فالتجربة أكثر تفردا [٣]. بداية تعرف عمارة البيئة بأنها: "فن علمي تطبيقي لدعم الجمال والحفاظ عليه في الأمكنة الخارجية المفتوحة"[٤]. أو هي "فن علمي لتنظيم الأمكنة الخارجية المفتوحة على الأرض ومنها الفراغ حول الكتل وبينها بشرط احترام الاعتبارات الثلاثة قوى الطبيعة والإنسان والبناء المصنوع بمعرفة الإنسان لدعم الجمال وتحقيق الاحتياج في الخارج المفتوح وهدفها أيضا الحفاظ على البيئة الطبيعية والمشيدة"[٥]. وتتعامل الجمعية الأمريكية لعمارة اللاندسكيب ASLA مع مجال ممارسة مهنة عمارة البيئة على أنه "مجالا حرفيا

معترف به للتعامل مع الطبيعة ويشمل تخطيط عماراتها وتنسيق أراضيها"[٦]. إذن، فالهدف هنا هو تهيئة الأمكنة الخارجية المفتوحة في كل مكان على الأرض، وضمنها الأمكنة المحيطة بالمناطق ذات القيمة بما فيها من تراث وأثار.

٢. ١ مرسم التصميم العمراني البيئي

خصص قسم عمارة البيئة في مرسم السنة الرابعة في الفصلين الدراسيين الأول والثاني مساحة لتعليم الطلاب كل ما يرتبط بالحفاظ على المناطق ذات القيمة فيها، حتى أن وصف المقرر الخاص بمراسم التصميم هو: تهيئة المشروعات بالتركيز على العوامل الاجتماعية- الثقافية كمؤثرات على التصميم. يتعامل الطالب في هذا المستوى مع إعادة تأهيل البيئات المشيدة من خلال مناهج التحسين، والارتقا، والتطوير. أساسيات المرحلة هي تعلم بعض مهارات وطرائق البحث العلمي، باعتبار أن متطلبات تحليل المكان تعد جزءا مهما في التأثير على صياغة قرارات التصميم وإعداد برامج التأهيل. يراعي المصمم في هذا المستوى مبادئ التصميم العمراني البيئي وأهمها: العلاقة بين الفراغ والكتلة معا مع التركيز على البعدين الثالث (الارتفاع) والرابع (الزمن: أي الزمن اللازم للحركة والانتقال بين عناصر المشروع).

وهنا يبدأ الطالب في تعلم مهارات التعامل مع الأمكنة المفتوحة بتشكيلاتها ثلاثية الأبعاد (الحجم) سواء كانت مفردة أو متتابعة، كما يدرس كيفية تناسب الفراغ مع الكتل المحيطة ووفقا لاحترام نوعية النشاط الذي يمارس فيها، ويتعلم أسس فهم المشروع وعرضه ضمن المتتابعات الفراغية، وتهيئة الفراغات الانتقالية بين عناصر المشروع. أيضا يتعلم الطالب في هذا المستوى كيفية عمل المجسمات الدراسية بكل ملامح المكان خاصة أشكال سطح الأرض والمنشآت القائمة. في هذه المرحلة أيضا يبدأ الطالب في تعلم جزء أساسي لممارسة المهنة وهو إعداد مستندات التنفيذ، حيث يبدأ في المرسم في عمل مجموعة متكاملة من الرسوم التنفيذية. وتتكون من: الأبعاد والمحاور، تشكيلات سطح الأرض (الطبوغرافيا وخطوط الكنتور)، تصميم النباتات، تصميم الإضاءة، تصريف المياه السطحية، مواد النهو، تفاصيل عناصر البيئة الخارجية مثل: أماكن الجلوس، والنافورات[٧]. تم تطوير المقرر ليتلاءم مع توجهات الباحث باعتباره مدرس المادة لأربع سنوات متتالية في إعداد طلاب قسم عمارة البيئة بما يتناسب مع متطلبات السوق المهني في الحاضر والمستقبل. وكان التركيز على اختيار المشروعات في المناطق ذات القيمة التي تجمع بين ثلاثة أمكنة خارجية هي: أ- المنطقة التاريخية التي تحمل ملمحا أثريا. ب- المنطقة التقليدية التي تجمع بين القديم والمعاصر. ج- المنطقة المفتوحة الجاهزة للتنمية المستقبلية. وهنا ارتكز **الفكر التعليمي على ثلاث توجهات للحفاظ وإعادة التأهيل هي:**

- تحسين النطاق الأثري القائم improvement.
- الارتقاء بالنطاق التقليدي upgrading.

- تنمية النطاق الحديث development.

وتظل هناك العلاقة التبادلية بين النطاقات الثلاثة القدي- التقليدي- الجديد، وتملأ تلك الأمكنة تحديات التهيئة من مهارات العمارة وتخطيط المواقع والتصميم العمراني وعمارة البيئة. وكلها متطلبات المعماري المعاصر. (الشكل ٤)

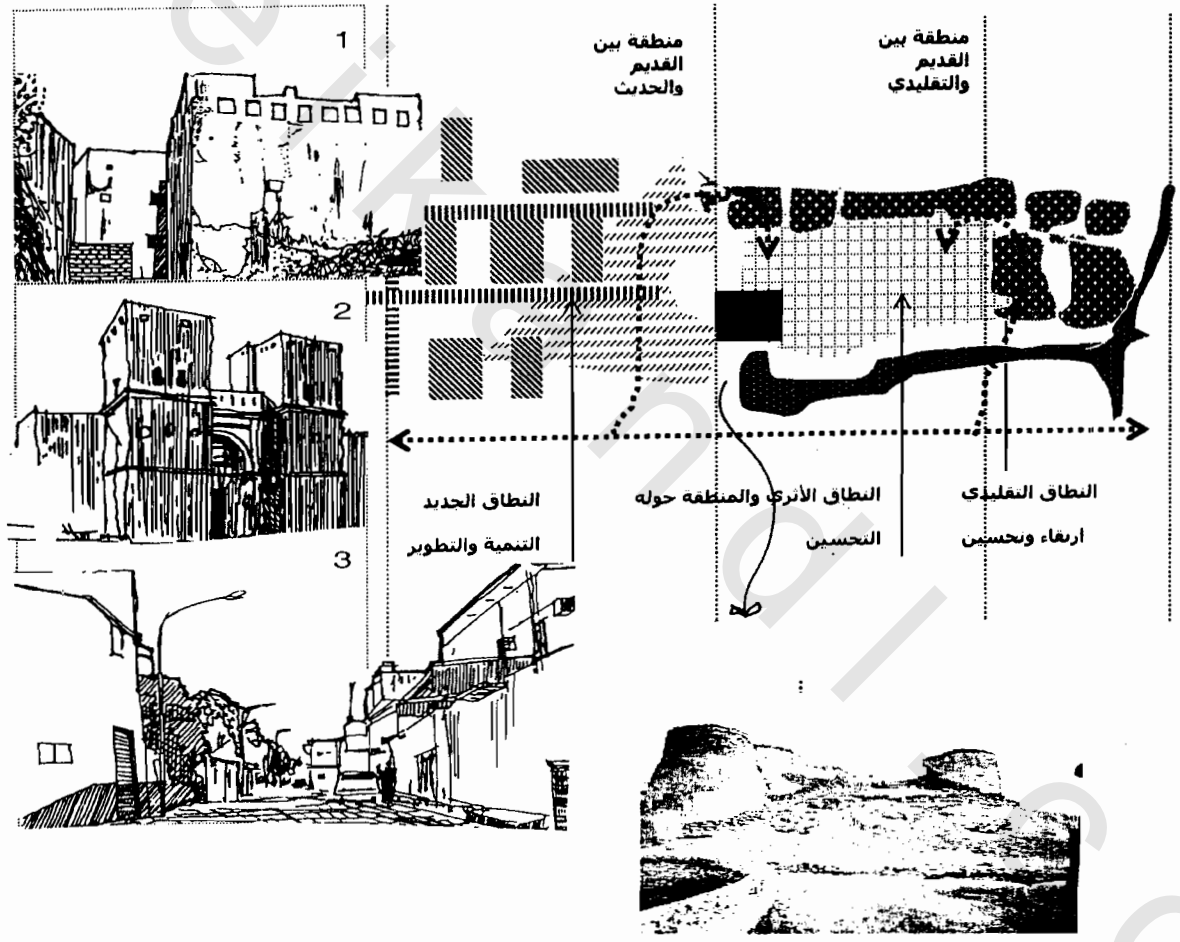

١- النطاق التقليدي
٢- النطاق الأثري
٣- النطاق الجديد

(شكل ٤) أمكنة مشروعات الأمكنة الخارجية المفتوحة ومناهج إعادة التأهيل [من إعداد الباحث]

في الفترة من العام ١٩٩٦م وحتى العام ١٩٩٩م قام طلاب قسم عمارة البيئة بالعديد من المشروعات في المناطق ذات القيمة وعلى وجه الخصوص في بلدة الإحساء، بالمنطقة الشرقية بالسعودية، ومن هذه المشروعات: تطوير الفراغ العمراني حول جبل قارة، تطوير المنطقة المحيطة بقصر إبراهيم، تصميم سوق يوم الجمعة ببلدة الطرف، وتطوير وتنمية قصر محمد العبد الوهاب، بلدة دارين بجزيرة تاروت، التنسيق العمراني لمنطقة الديرة بجزيرة تاروت، وإعادة تأهيل المنطقة القديمة لمركز بلدة الكوت.ولمزيد من الاستفادة بتنويع الخبرات انتقل الطلاب في العام الجامعي ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م إلى دولة البحرين لاختيار مشروع إعادة تأهيل منطقة الرفاع الشرقي.[٨]

٢. ٢ مقترح تدرج العمل في مشروعات إعادة التأهيل

نتيجة لكبر المقياس النسبي لهذه البيئات وموقعها ضمن بيئة من صنع الإنسان فان تهيئة مشروعاتها يتطلب المزيد من العمق، ومن هذا المنطلق قام الباحث بتطوير المقرر الدراسي لتعليم الطالب المنهج الملائم للتعامل مع المناطق ذات القيمة.[٩]

أولاً– تدرج خطوات الدراسة : (الشكل ٥)

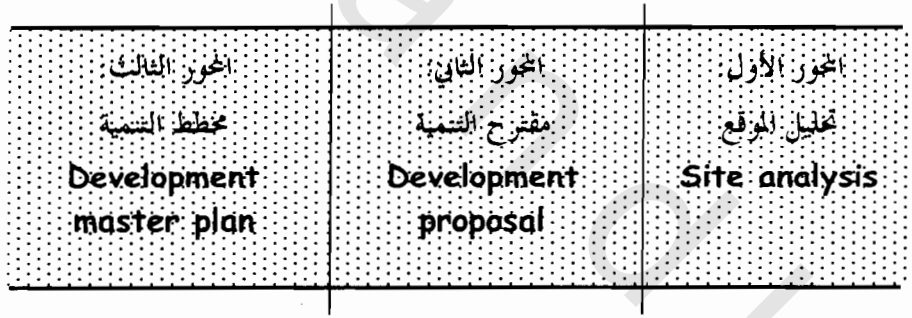

(شكل ٥) ثلاثة محاور لدراسات التهيئة في البيئات متوسطة الحجم والمقياس

- **المحور الأول– تحليل الموقع** site analysis

استكشاف بيئة المحيط الحيوي للمشروع– نطاق البناء المصنوع

يتناول هذا المحور مهمة التعرف على المحيط الحيوي الرحب والمباشر الذي يقع فيه مشروع التهيئة داخل حدود الموقع تحديداً، والمجال القريب المحيط بالحدود، وذلك باعتبار أن المشروع عبارة عن بيئة اصطناعية وتقع في نطاق قائم ومتكامل، وتتدرج خطوات تحليل الموقع على النحو الأتي: (الشكل ٦)

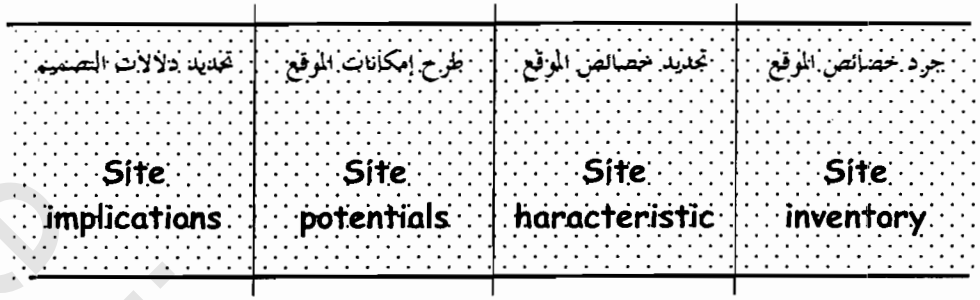

(شكل ٦) أربع خطوات لتحليل الموقع في المستوى المتوسط

ا – التسجيل والتوثيق documentation لحالة الوضع الراهن the xisting condition، في خرائط مجمعة، وتعرف هذه المرحلة بجرد خصائص الموقع أو تجميع معلومات المكان site inventory، ب– تحديد خصائص الموقع the haracteristics of the site وبيان ملامحه وسماته المميزة، ج – طرح إمكانات الموقع site potentials وبيان الفرص opportunities والعوائق constrains، د– تحديد دلالات التصميم site implications بمعنى إلقاء الضوء على المشكلات problems وتصورات الحلول solutions كما جاءت في المراجع أو المشروعات المشابهة.

- **المحور الثاني– مقترح التنمية** development proposal

رسم مخطط التنمية المقترح– البديل الأوفق

بهدف الوصول إلى استراتيجية منظمة وموضوعية للتنمية تتدرج خطواتها على النحو الآتي: (الشكل ٧)

(شكل ٧) ثلاثة خطوات لإعداد مقترح التنمية

ا – اقتراح الإطار العام لتهيئة المكان development conceptual plan، ب– تحديد برنامج التنمية المقترح development program، ج– إعداد بدائل التصميم alternatives وتقييم البدائل evaluation واختيار البديل الأوفق.

- المحور الثالث– خطط التنمية development master plan

بلورة الخطة المستحدثة لتنمية المكان– التنمية

الهدف من هذه المرحلة هو التعبير عن الأفكار والطموحات ووضع تصور في مخطط حقيقي، تتضمن هذه المرحلة أربع خطوات: (الشكل ٨)

(شكل ٨) أربع خطوات لإعداد مخطط التنمية

أ– إعادة طرح مقترحات التنمية proposals development، ب– إعداد البرنامج المقترح للتنمية الجديدة development program، ج– فلسفة التصميم conceptual development plan د– إعداد المخطط العام master plan والمخطط التفصيلي detailed plan.

ثانياً– المهام الأساسية وتدرج خطوات التهيئة

تطبيق أهداف المحاور الثلاثة يتطلب تنفيذ أربع مهام: (الشكل ٩)

(شكل ٩) أربع مهام لتحقيق محاور تحليل المواقع في المستوى المتوسط

- **إعداد المقدمة – منهج ومحتوى ونتائج الدراسة**

تتضمن المقدمة نُبذة مختصرة عن المشروع وتتضمن: صياغة الهدف الرئيسي من المشروع، بيان الغايات الثانوية، عرض البعد الزمني– التاريخي، وبعض الأبعاد الثقافية والاقتصادية والسياسية عن بلد الدراسة، مع وصف المشروع، والتعرف على الموقع الجغرافي للمشروع، رسم

حدود منطقة الدراسة، بيان ملامح المحيط الحيوي المباشر والأعم الرحب (العلاقة بين المشروع وما حوله)، بيان إمكانات الحركة والوصـــول إلى المشروع، تحديد مصادر المعلومات.

- **تحليل المواقع** site analysis

وتتضمن أربع خطوات هي: مرحـــلة التوثيق والتحليل والفهم بكل ما تعنيه الكلمة، فهي تهتم بجمع المعلومات عن منطقة الدراســـة مـــن الواقع الفعلي كما هو وبما يعرف بالوضع الراهن للمكان existing condition وقت عمل الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال الاستفادة بعمـــل الزيارات الميدانية المتكررة للمكان، واستعمال مناهج المشاهدة والرصد، وإجراء المقابلات مع الناس المستعملين والمهتمين بالمشروع، ثم تحليل هـذه المعلومات من خلال تأثيراتها مجتمعة على المكان، ثم استكشاف إمكانات الموقع، وبيان المشاكل وبعض مقترحات الحلول.

– الخطوة الأولى :توثيق ملامح المحتوى البيئي site inventory **وتتضمن أربع دراسات هي:**

أ- طبيعة بيئة المكان وتتضمن: المناخ، أشكال سطح الأرض، المياه، الغطاء النباتي، الحياة الفطرية. ب- طبيعة الإنسان وتتضمن: الدراسات الاجتماعية والثقافية، النفسية والسلوكية، الاقتصادية، القانونية. ج- طبيعة البيئة المصنوعة وتتضمن: استعمالات الأراضي وبيـــان النشـــاطات والوظائف والحالات والارتفاعات، شبكات مسارات الحركة والانتقال وتحديد نوعية التدرج والقطاعات والحالات، شبكات البنية الأساســـية، النقل والمرور، خدمات المجتمع، الإدراك الحسي المرئي المحدد لجماليات العمران والسمعي عـــن الضوضاء، الطابع ومعرفة نوع النسيج العمـــراني. د- الدراسات المكملة وتتضمن: تشريعات البناء، تقنيات ومواد البناء، الجدوى، تقييم ما بعد الإشغال.

– الخطوة الثانية: تحديد خصائص الموقع site characteristics

هدفها تفريغ كل المعلومات المجمعة من خلال علاقات العناصر ببعضها، وبيان تأثيرات هذه العلاقات على المكان مثل: بيان العلاقة بـــين المرور الآلي وحركة المشاة ورصد تأثيرات هذه العلاقة على المستعملين للمكان، أو بيان العلاقة بين اتجاهات الرياح السائدة وتجمعـــات المبـــاني وتأثيرها على الراحة الحرارية في المناطق المفتوحة.

– الخطوة الثالثة: إمكانات الموقع site potentials

وتتضمن محورين هما: الفرص والعوائق، ودراسة الإيجابيات والسلبيات على مستوى الاستعمالات الرئيسية، مسارات الحركة، نوعية البيئـــة، نمط النسيج، الارتفاعات، الطابع المعماري والعمراني، ملامح المجتمع المحلي، الركائز التراثية وذات القيمة في المكان، وتتغير وفقاً لطبيعة المشروع.

obeikandi.com

- الخطوة الرابعة: عرض دلالات التصميم site implications

بيان المشكلات الموجودة في الموقع على مستوى كل من: المظهر العام، المنشآت، العلامات المميزة، الحركة والانتقال، مواقف السيارات، سلوكيات الجماعة، تنسيق المواقع، والبحث عن حلول لها من المصادر أو من التجارب السابقة في المشروعات البديلة أو وفقاً لخبرة المصمم.

- رسم مخطط التنمية المقترح conceptual development plan

ويظهر في مستويين: (الشكل ١٠)

أولهما- التجريد على خريطة المكان، لبيان مجالات التنمية ومراحلها

بيان تغيير الاستعمالات (الاستعمالات المضافة والمزالة والمتحولة)، المباني ومعالجة الواجهات، شبكات الحركة والانتقال (توسيع الطرق، نقل الحركة، إلغاء أو إضافة تقاطعات، تحويل وظيفة الطرق)، تنوع الخدمات واستكمالها وتحسين الموجود، الفراغ العمراني والمناطق المفتوحة، التشجير والنباتات وتنسيق الموقع بصريا، التعامل مع المباني ذات القيمة.

ثانيهما- السياسات

وتظهر كتابة لبيان الأهداف والقرارات ومحددات التنمية، اشتراطات التصميم. وقد تعرض عدة مقترحات للتنمية (بدائل التنمية) للمقارنة بينها على أساس الهدف والاشتراطات والمحددات أو القيود (كالقوانين، التكاليف، الزمن، الاحتياجات، المعايير البيئية)، ثم يختار البديل الأوفق.

ملحوظة : ١- تركز سياسات التنمية على كل المعالجات في كل محور مثل قفل الشوارع أو هدم مباني، أو تغيير الاستعمالات، أو إضافة نشاطات، مع بيان كل السياسات التي سوف يقترحها المصمم بناء على مخطط التنمية المقترح، الذي يعتبر الفكرة الأساسية لتنمية المكان. وتظهر بالرموز والكتابات والعلامات. كما يكون لها مفتاح legend لكل ما هو موجود في المخطط.

ملحوظة: ٢- يعتمد المدخل المقترح للتنمية على تقسيم المنطقة إلى أربعة محاور وفقا لسياسة التنمية: - تحسين النطاق الأثري (الترميم)- تحسين المنطقة ذات القيمة- تنمية وتطوير المناطق الجديدة- رفع مستوى المناطق التقليدية البعيدة نسبيا.

obeikandl.com

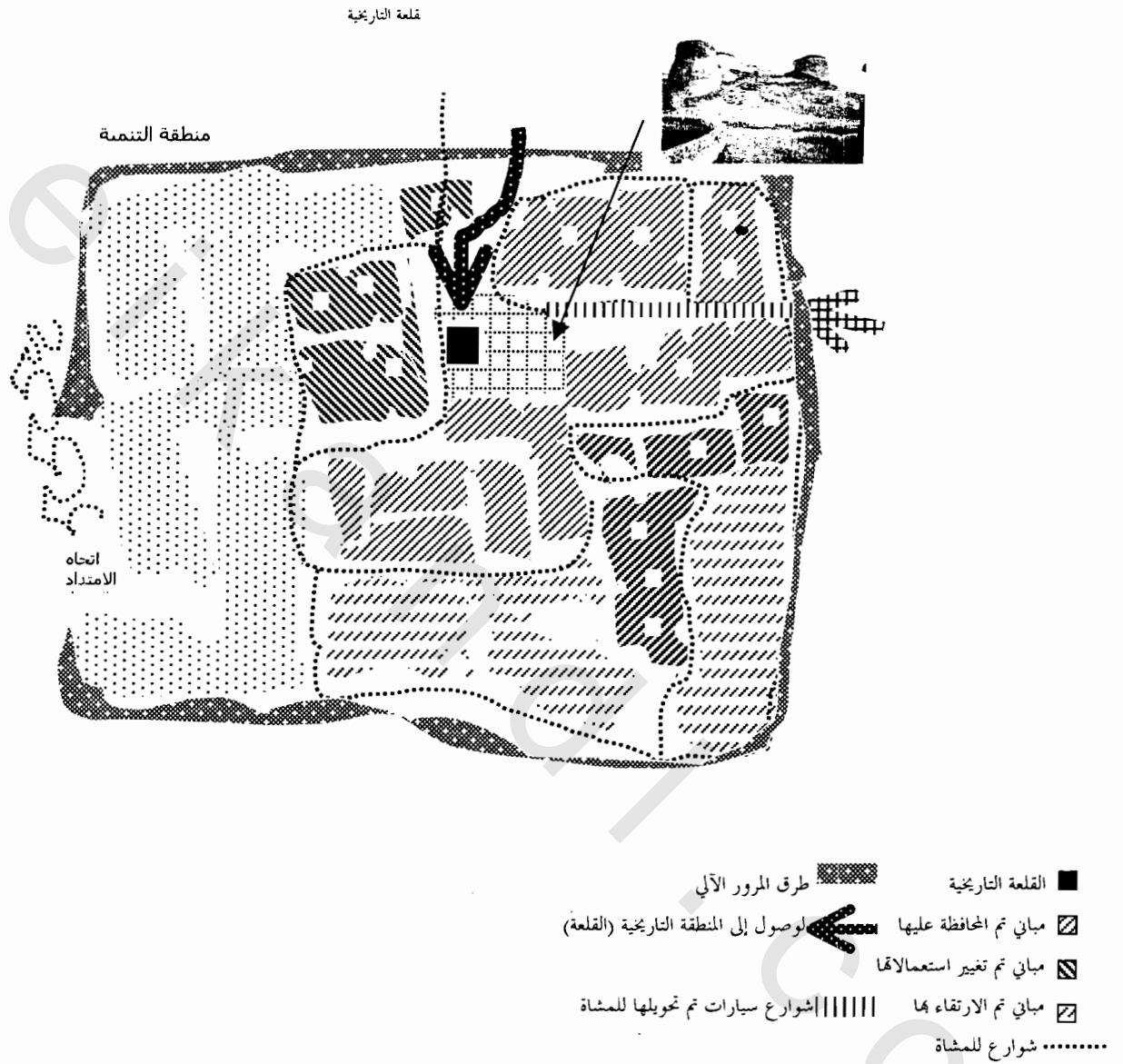

(شكل ١٠) مخطط التنمية المقترح (إعادة التأهيل) وسياسات وبرامج التنمية

- **تقديم المخطط العام التفصيلي: بلورة الخطة**

الاهتمام هنا يكون بتحديد البرنامج الإنمائي development program على ضوء المقترح الأولي للبديل الذي تم اختياره، وعليه يعد المخطط العام master plan، وإعداد البرنامج يتضمن جزأين:

أولهما- مفاهيم التصميم للنشاطات المقترحة، بمعنى أنه خاص بتحديد طبيعة، ونوع، وعدد النشاطات المستحدثة للموقع، على ضوء نوعية المستعملين وعددهم ومتطلباتهم. الجدول (١)

جدول (١) مثال لبرنامج المكونات واستراتيجيات التنمية المقترحة [من إعداد الباحث]

النشاطات	عدد المستعملين	مسطح النشاط المقترح	مرات تكرار النشاطات لكل نشاط	ملاحظات
المتحف الوطني	٤٠٠	٤٠٠	١	وضع النشاط مكان بعض المباني المهدمة
معرض التراث	١٨٠	٣٦٠	١	أرض فضاء مملوكة للدولة
ساحة الاحتفالات	٨٠٠	١٢٠٠	١	ساحة القلعة التاريخية
سوق شعبي	٣٥٠	٢٥٠	١	موجود وقائم
مدرسة حرفية	١٢٠		٢	تحويل المدرسة الثانوي
مطاعم	وفقا للمكان	وفقا للمكان	وفقا للمكان	بعضها موجود والبعض مضاف
قهاوي	وفقا للمكان	وفقا للمكان	وفقا للمكان	تحويل استعمال الدور الأرضي
دورات مياه	وفقا للمكان	وفقا للمكان	وفقا للمكان	في الأراضي الفضاء
كبائن هواتف	وفقا للمكان	وفقا للمكان	وفقا للمكان	في الأراضي الفضاء
مواقف سيارات	٤٠٠ سيارة	٣٤٠٠	وفقا للمكان	في الأراضي الفضاء أو الاستفادة من استعمال الأراضي التي هدمت

- الافتراض هنا أن المشروع هو إعادة تأهيل مركز المدينة التاريخي، ويهتم برنامج المكونات الرقمي ببيان نوعين من النشاطات: ١- الجديدة، ويتم تقديرها وفقاً لطبيعة المشروع، وهي مشروعات مضافة لاستكمال أوجه النقص أو توجيه المشروع جهة متطلبات التنمية.٢- الموجودة وسيتم فيها تغيير الاستعمالات أو إضافات أخري.

ثانيهما- سياسات التنمية وإعادة التأهيل يهتم بتطوير كل ما هو موجود وقائم، ثم إعداد المخطط العام بشكل يتضمن إمكانات تطوير المكان، واحتياجات الحركة، والأمكنة الخارجية المفتوحة مثل: الميادين، الساحات، الفراغ البيني، المسارات ومعالجتها، معالجة الواجهات، خدمات المجتمع، التشجير والحياة الفطرية. الجدول (٢)

openkanal.com

جدول (٢) مثال لبرنامج المكونات واستراتيجيات التنمية المقترحة [من إعداد الباحث]

السياسات	منطقة التهيئة (أ) المنطقة التاريخية المحافظة	منطقة التهيئة (ب) المنطقة التقليدية التحسين	منطقة التهيئة (ج) المنطقة الحديثة الارتقاء	منطقة التهيئة (د) النطاق الفضاء التنمية
	CONSERVATION	IMPROVEMENT	UPGRADING	DEVELOPMENT

كل من هذه العناصر وغيرها يتم توصيف السياسة المتبعة كتابة، وإذا تطلب الأمر ذكر المستعملين والمسطح والعدد، يتم ذلك على سبيل المثال بالنسبة لمسارات الحركة حيث يمكن تحويل أحد الشوارع من طرق سيارات إلى شارع للمشاة، و يذكر طوله واستخدامه والنشاطات المطلة عليه والمستعملين وأماكن الوصول والوقوف والانتظار والبديل عند غلقه كمحور سيارات، وحجم الحركة.. الخ، فعادة ما تحتاج مناطق الامتداد إلى اتجاه التطوير العمراني، وعمل مشروعات جديدة تتلاءم مع المكان

- ملحوظة : برنامج إعادة التأهيل المقترح يهتم بالسياسات التي يقترحها المصمم على ضوء فكر التصميم الخاص به، وعليه فقط الالتزام بأساسيات إعادة التأهيل وتعريفها في كل منطقة فقد تكون السياسة هي الارتقاء العمراني أو التحسين أو المحافظة أو التنمية والتحديد أو الإزالة، وفي كل مرة عليه ذكر نوع طبيعة التهيئة التي سوف يتخذها كمنهج لإعادة التأهيل، ثم ذكر السياسات الخاصة بكل منطقة.

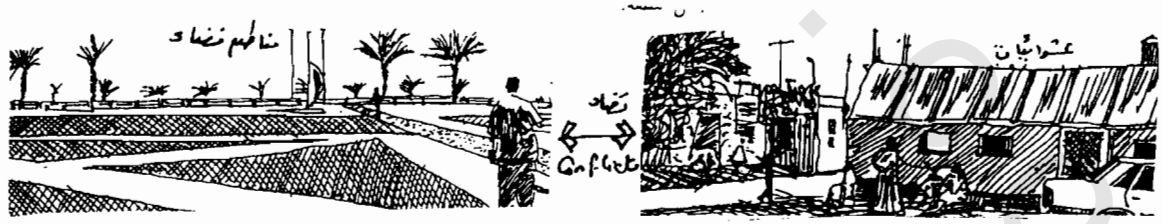

٣. إعادة تأهيل منطقة الرفاع الشرقي بدولة البحرين– دراسة حالة

تم اقتراح دولة البحرين لتعريف الطلاب بمشروعات إعادة التأهيل خارج إطار البيئة التي تعودوا عليها في المملكة العربية السعودية.

٣. ١ اختيار ووصف تدرج مشروع إعادة التأهيل

بعد زيارة ميدانية لدولة البحرين تم فيها مشاهدة الملامح الأثرية في المنامة والرفاع الشرقي والرفاع الغربي والمحرق، أمكن اختيار المشروع بالقرب من قلعة الرفاع الشرقي، حيث يحمل المكان كل متطلبات التعامل مع المناطق التي تحمل تراثاً متميزاً، وتقع بالقرب من المنطقة السكنية التقليدية، وفي الجانب الآخر من القلعة أرض فضاء عليها بالفعل تنمية جديدة (ممثلة في المجمع سكني، وأرض ملعب الجولف، والمزارع). وكان التوجه هو إعادة تأهيل النطاق العمراني بهدف رفع كفاءة النطاق الأثري، والارتقاء بالبيئة المشيدة وتطوير النطاق الجديد.

وطبق في مشروع إعادة التأهيل المنهج السابق ذكره، حيث قامت مجموعة الطلاب بكاملها بعمل الدراسات التمهيدية وتوثيق المشكلة الإنمائية (١١ طالب)، وكان كل طالب مسؤولاً عن تجميع معلومة محددة وتوثيقها في لوحة أو أكثر، ثم قسم الفصل إلى مجموعتين لعمل تحليل المواقع والفرص والعوائق، ثم قسم الفصل إلى ثلاث مجموعات (مجموعتين من أربعة طلاب ومجموعة واحدة من ثلاثة طلاب) وذلك بهدف عمل فكرة التصميم، واتفق من البداية على أن الهدف هو إعادة التأهيل من خلال إطار فكري واحد هو التنمية السياحية، واختارت كل مجموعة منهم إما السياحة الترفيهية، أو السياحة الثقافية، أو السياحة التجارية.

وتم بناء سياسات التأهيل على أربعة محاور ومن خلال تقسيم المحيط العمراني إلى أربعة مجالات هي:

- مجال الأثر ذاته: الحفاظ على الأثر كما هو وترميم القلعة التاريخية.
- المجال المحيط بالأثر لمسافة تجعل من الممكن الحفاظ عليه وحمايته من التعرض للمؤثرات الخارجية: نطاق التحسين.
- نطاق المنطقة العمرانية التقليدية: الارتقاء ورفع الكفاءة.
- نطاق المنطقة الحديثة: التطوير وإقامة المشروعات الجديدة.

وأمكن إعداد مخطط عام لكل فكرة، وفي الفصل الدراسي الثاني أعد كل طالب بعد اختيار منطقة محددة مخطط تفصيلي لها، انتهت بعمل رسومات تنفيذية متكاملة، ويوضح (الشكل ١١) المخطط العام لمشروع إعادة تأهيل منطقة الرفاع الشرقي.

openkandil.com

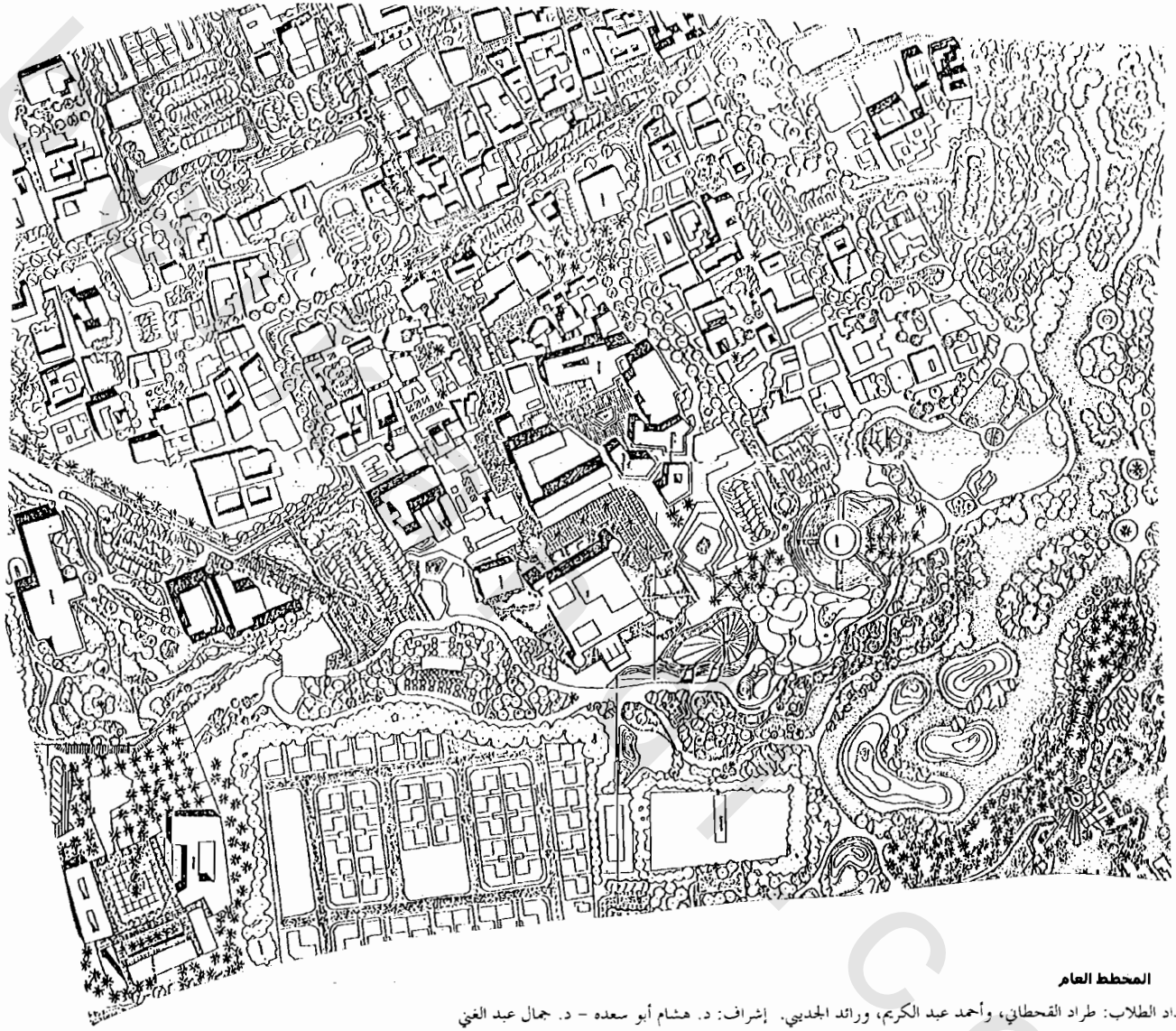

المخطط العام

- إعداد الطلاب: طراد القحطاني، وأحمد عبد الكريم، ورائد الجديبي. إشراف: د. هشام أبو سعده - د. جمال عبد الغني

(شكل ١١) مشروع إعادة تأهيل منطقة الرفاع الشرقي- دولة البحرين. العام (٢٠٠٠م)

٣. ٢ الدروس المستفادة– عن العملية التعليمية و ممارسة المهنة

يمكن حصر الدروس المستفادة من اختيار هذا المشروع في جانبين: أولهما– خاص بالعملية التعليمية، وتطورها والفوائد التي حصل عليها الطلاب من هذه الدراسة، وثانيهما– وثيق الارتباط بالواقع المهني والمجتمع والبيئة العمرانية وممارسة المهنة.

أولاً – دروس مستفادة في جانب العملية التعليمية

في واقع الأمر، لم تكن هناك خطة واضحة لملء فراغ الجانب التعليمي في مجالات المحافظة على المناطق ذات القيمة وإعادة التأهيل، حيث كان اختيار المشروعات عشوائياً، وبما يتيحه الموجود من مناطق متاحة أمام أعضاء هيئة التدريس في البيئة القريبة منهم، أما اختيار مشروع قلعة الرفاع الشرقي في دولة البحرين فكان من أهم دروسه المستفادة ما يلي:

– **تحريك الجمود**، والرتابة، وتغيير الاستمرارية في التعامل مع نوع واحد من المشاكل ومن المعايير المرتبطة بالبيئة.

– **تنويع معارف** أعضاء هيئة التدريس بالقسم، سواء المشرفين على المشروع أو المحكمين عليه من أقسم الكلية المختلفة، ولعل اختلاف الرؤى مفيد في عمليات إعادة التأهيل إذا ما كانت مرتبطة بموضوعات مثل السياحة. حيث لا تستهدف العملية التعليمية في الجامعة التلقين والتعريف بمعلومات بقدر ما تحتاج إلى التفكير، ومقابلة العديد من التحديات والاختلافات حتى تعمل ملكة الابتكار عند الأستاذ والطالب.

– **رفع درجة وعي الطلاب** بالاختلاف بين البيئة التي يعيشون فيها وبيئات أخرى تختلف في النواحي الاجتماعية والثقافية والسلوكية. هذا الوعي المعرفي يفيد الطالب في توسيع المدارك الخاصة بعملية ابتداع الأفكار، والتفكير في حل المشاكل الجديدة التي ليس لها أصل في البيئة الأم.

– **الإسهام في تطوير المقرر التعليمي** ليتلاءم مع ذلك الوافد الجديد من ثقافة مختلفة ومتنوعة.

– **تطوير العملية التعليمية بما يتلاءم مع متطلبات العصر**، ومن أهم متطلباته الانفتاح على العالم الصغير، والمشاركة بين الممارسين، ومن ثم نهدف أن تكون التجربة العام القادم (إن شاء الله) أكثر تطورا، بحيث يكون الاشتراك جماعي في إعداد مشروع واحد. بمعنى أن يشترك طلاب السنة الثالثة مع السنة الرابعة في مشروع واحد وليكن في المدينة المنورة خارج إطار المنطقة الشرقية على أن يقوم كل فصل دراسي بالعمل الذي يتناسب مع متطلبات المقرر.

– **تنويع الخبرات ورفع كفاءة الأستاذ والطالب**: أهمية اختيار مشروعات متباينة التوجهات والملامح في كل عام دراسي، فتكرار المشروعات في مكان واحد يقتل الإبداع والابتكار، ويصيب العملية التعليمية بالركود.

وتشير التجربة الشخصية للباحث مع هذا الفصل الدراسي إلى مدى التغير الذي أحدثه هذا المشروع في الوسط التعليمي بالكلية، سواءً على مستوى الحماس الذي فاق الحد من ناحية الطلاب فرحاً بهذه التجربة الجديدة، وتشجيعهم على بذل الجهد لعمل مشروع متميز، أو الترحيب من الزملاء أعضاء هيئة التدريس بالقسم، الذين كان وقوفهم مع هذا المشروع متميز، حيث تجاوز لأول مرة بالكلية شكل تحكيم المشروعات ليتخذ شكلاً جديداً وهو النقاش والشرح والتفصيل، حتى تحول التحكيم إلى محاضرات تصل لنصف ساعة من كل أعضاء هيئة الحكم، ومن ثم كانت الفائدة بالنسبة للطلاب عالية جداً والفائدة بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس في تحريك الطاقات الكامنة لديهم.

ثانياً- دروس مستفادة في جانب ممارسة المهنة

- **اكتشاف ما كان مجهولاً**، بمعنى أن التجربة تشير إلى أن الجامعة قد تمكن الدولة من التعرف على مناطق لم تكن تعرفها، إذ أن منطقة الرفاع الشرقي منطقة تقليدية لا تعد منطقة ذات قيمة إلا من ناحية وجود قلعة الرفاع الشرقي، ومن ثم يمكن اعتبار الجامعة نقطة تنوير للمجتمع في الإشارة إلى وإلقاء الضوء على ما يجب الاهتمام والعناية به.

- **المشاركة وفتح آفاق** للعاملين في مجالات إعادة التأهيل بالاستعانة بطلاب الجامعات، فواقع الحال يشير في بعض البلاد العربية إلى الاستعانة بخبرات أعضاء هيئة التدريس من خلال مراكز البحوث أو الهيئات المتخصصة، لكن لا يوجد تجربة واحدة تشير إلى اشتراك الطلاب في عمليات التطوير، بعض الجامعات المصرية -على حد علم الباحث- تقوم بعمل تبادل مشترك بين الجامعات المصرية والأجنبية للتعرف على مناهج الحفاظ في المناطق ذات القيمة، ولكن على المستوى الشخصي للباحث فهو يجهل وجود تجربة واحدة لمساهمة الطلاب في مشروعات حقيقية.

- **ربط الجهد النظري بالجهد التطبيقي**، ومن ثم من الضرورة اختبار ذلك على مستوى الواقع لمعرفة مدى صلاحية التوجه، وربط ما يتعلمه الطالب في الكلية من نظريات وأسس باحتياجات ومتطلبات الواقع المهني الحقيقي.

- **لفت النظر إلى دور الجامعة (طلاب وأساتذة) في مشروعات إعادة التأهيل** في كل كليات العمارة والتخطيط في العالم العربي، يقوم الطلاب بإعداد مشروعات إعادة التأهيل للمناطق ذات القيمة، ولا يستفيد منها أحد.

٤. النتائج

كان الهدف هو إلقاء الضوء على الدور الذي يمكن أن تساهم به كليات العمارة في عمليات الحفاظ على التراث العمراني، واستهدف الاختبار بيان بعض المبادئ والمشروعات والمخططات والبرامج التي تمكن من تهيئة المناطق ذات القيمة في المدينة العربية. وبينت الدراسة أن هناك منهجاً وبرنامجاً يتبعه قسم عمارة البيئة بجامعة الملك فيصل يفيد في هذا الاتجاه، كما بينت الدراسة مجموعة من النتائج يمكن قراءتها في مستويين:

٤. ١ النتائج على مستوى العملية التعليمية

– **ضرورة أن يكون هناك توجهاً واضحاً ومتكاملاً للعمل في مشروعات إعادة التأهيل**، وأن يكون هذا التوجه مبني على منهج مدروس وموثق، وأن تتابع خطواته وفق ما هو معروف عند التعامل مع هذه المشروعات. بداية، من مراحل التوثيق والتحليل والتعرف على الخصائص والملامح العامة، بناء الفكرة والمفهوم العام للتصميم، وبيان سياسات التنمية، البرنامج الإنمائي، المخطط العام والمخطط التفصيلي، الرسومات التنفيذية.

– **العمل في مجموعات** يمكن الطالب من الإحساس بالعمل الجماعي والإحساس بمسؤولية عمله لفائدة الآخرين، على أن تسند مهمة التنسيق في هذا العمل لأكثر الطلاب قدرة على القيام بذلك في بداية العمل، وعند تقسيم الطلاب إلى مجموعات متعددة العمل على تغيير قيادة المجموعة لتعليم أغلب الطلاب مهارة تحمل المسؤولية، وهذا يجعل من المنافسة بينهم موجودة ولكنها مرغوبة.

– **يجب أن يكون اختيار المشروع مبني على وعي طلابي** عن مفهوم المقرر الدراسي ومتطلبات المنهج الدراسي، ومن الأفضل أن يقوم الطلاب باختيار المشروع بعد التوجيه والإرشاد.

– **دور عضو هيئة التدريس أساسي في هذا النوع من المشروعات**، حيث تحتاج مشروعات إعادة التأهيل إلى خبرة للتعامل معها، وهي تصنف ضمن المشروعات متوسطة الحجم والمقياس، والتي تتطلب جهداً ووعياً منظماً مبني على خبرة واقعية، وليست دراية فقط، وعلى الطلاب أن يستشعروا هذه الخبرة من المدرس.

– **الاستفادة من خبرات أعضاء هيئة التدريس في قسم عمارة البيئة** في الأقسام الأخرى بكلية العمارة خاصة التصميم العمراني وتخطيط المواقع. هذه الاستفادة تكون من خلال حلقات النقاش عند تحكيم المشروعات في نصف الفصل الدراسي وفي نهايته، مع عدم التقيد باشتراطات التحكيم (الوقت- الأسلوب)، بل فتح النقاش ليكون عبارة عن محاضرات في كل المسائل المتعلقة بالموضوع ووفقاً لخبرة كل عضو هيئة تدريس.

– **المشروعات التي يقوم بها الطلاب تحت إشراف أعضاء هيئة تدريس** لديهم خبرة بالإضافة إلى البرنامج العام الموضوع للقسم يمكنان من تقديم حلول منطقية لمشروعات إعادة التأهيل، وأن إلقاء الضوء على هذه المشروعات ومداخل الحلول لها فيهما فائدة كبيرة لمتخذي القرار التنفيذي.

– **يمكن أن تساهم الجامعة** في إيجاد حلول لمسائل الحفاظ على التراث العمراني من خلال أقسامها المختلفة العمارة والتخطيط وعمارة البيئة.

obeikandi.com

٤. ٢ النتائج على مستوى الممارسة المهنية

– **هناك مشروعات عمرانية لم تؤخذ في الاعتبار عند إعادة التأهيل** على الرغم من أنها تضم تراثاً عمرانياً ضخماً نتيجة لعدم التفات المسؤولين إليها، وقد تنبه الطلاب في كليات العمارة والتخطيط إلى ذلك، وبالفعل تم اعتبارها مشروعات للتخرج أو في السنوات الدراسية المتقدمة، وتم إنجاز مشروعات واعدة، وعلى الرغم من ذلك لم يلتفت الواقع المهني لدور طلاب الجامعة عند إعداد مشروعات إعادة التأهيل.

– **لا يوجد تنسيق كاف** بين الجامعة كمؤسسة تعليمية تضم خبراء ومتخذي القرار التنفيذي مثل: الوزارات والهيئات العليا للحفاظ على التراث، وإن وجد هذا التنسيق فإن دور الطلاب يكاد يكون معدوماً تماماً، على الرغم من كونه طاقة فاعلة في هذا الإطار، وأن الجامعة يمكن أن توفر إنتاجاً مكثفاً بكلفة اقتصادية منخفضة إذا أمكن دعم مجهود الطلاب في عمليات إعادة التأهيل والحفاظ على التراث العمراني.

– **من الضروري الاستفادة بتجارب أعضاء هيئة التدريس** التي تم اختبار فعاليتها مع الطلاب، خاصة إذا كانت تتعلق بمسائل جوهرية لها مردود في الواقع المهني، حيث تعد الخبرة التي يأخذها المدرس من خلال التجربة والخطأ والإضافة والتطوير في كل الأحوال هي وسيلة تمكن من الوصول إلى نتائج يمكن الاستفادة بها في الواقع المهني ، ويستطيع هؤلاء الأساتذة من خلال خبرتهم مع الطلاب الوصول إلى نتائج جيدة.

– **رغبة أعضاء هيئة التدريس في العمل من خلال الجامعة في مشروعات إعادة التأهيل غير واردة** وذلك لأنه بالفعل كثير منهم هم خبراء للجهات الحكومية الرسمية والمؤسسات غير الحكومية التي تعمل في هذا المجال، ولا مجال للحصر الآن[١٠]، ولكن الهدف هنا هو إيجاد شكل من أشكال التعاون بين الهيئات والمؤسسات وطلاب الجامعات من خلال التعاون مع مراسم التصميم العمراني بالكليات.[١١]

وفيما يلي بعض الخطوط الإرشادية التي يمكن أن تشير إلى دور الجامعة في الإسهام في مشروعات إعادة التأهيل للمناطق ذات القيمة:

– **توفير قاعدة معلومات موثقة عن مشروعات إعادة التأهيل في المناطق ذات القيمة** حيث يمكن من خلال المناهج الدراسية، وبإشراف المتخصصين وضع معايير لتحديد ملامح تلك المناطق، ورسم حدودها وأهم مكوناتها المعمارية والعمرانية، ثم تكليف الطلاب بعمل بحوث في المقررات الخاصة بمناهج الحفاظ وإعادة التأهيل بجمع هذه المعلومات من الواقع المباشر. هذه المكتبة التراثية الموثقة بطريقة علمية تتيح لكل الجهات المسؤولة إمكانية تحديد الأولويات للمناطق التي تتطلب إعادة تأهيل لرفع القيمة-وتحقيق الأهداف المطلوبة (سياحياً- تجارياً- جمالياً).

– **توظيف العلاقة بين الجامعة والمؤسسات المهنية** مثل: الهيئات والجهات المسؤولة عن الحفاظ على التراث، والأمانات والبلديات، لتسهيل إمكانات توثيق المعلومات عن المناطق المختارة، في نواحي: توفير الخرائط المساحية، والتصوير الجوي والرسوم الإيضاحية، الوثائق والكتابات

التاريخية عن المكان، الإحصائيات الدورية، التعريف بطبيعة السكان وحالات المنشآت، توصيف نوع النشاطات والوظائف التي يمكن أن تمارس في هذه المناطق، تسهيل إجراء استطلاعات الرأي والاستبيانات وإجراء المقابلات الشخصية مع المسؤولين وجهات الاختصاص، التعرف على القوانين الجديدة واشتراطات البناء في كل منطقة، معرفة تصور الدولة عن الخطط المستقبلية للتعامل مع هذه المناطق.

– **إعداد شبكة إعادة التأهيل** من خلال الحصول على المعلومات المتكاملة عن المناطق ذات القيمة، يمكن لأقسام التخطيط العمراني وعمارة البيئة في السنوات المتقدمة، إعداد تصور عام ومتكامل لأي مدينة (الإحساء مثلاً أو المدينة المنورة أو المنامة أو حمص أو الجيزة) عن المناطق ذات القيمة فيها، وتوصيف ملامح وخصائص كل منطقة من خلال ملامحها المميزة. كما يمكن عمل قطاعات متجانسة لهذه المدينة، وتصنيف هذه القطاعات مرة أخرى على ضوء مفاهيم إعادة التأهيل، ووضع تصور نظري لإمكانيات التأهيل التي تحتاجها كل منطقة على ضوء خصائصها. ومن هنا يمكن أن تكون مناطق إعادة التأهيل هي أنوية التحسين والارتقاء والتنمية والتطوير في كل مدينة عربية تقليدية،كما تكون هذه الشبكة مثالاً متميزاً يمكن تحقيقه في كل البلدان العربية.

– **إعداد المشروعات التجريبية في كليات العمارة والتخطيط بعد رسم الشبكات وتحديد أنوية إعادة التأهيل**، يمكن اختيار منطقة أو أكثر وطرحها مشروع تجريبي لطلاب السنوات التي تقوم بهذا الجهد التعليمي، وعلى أعضاء هيئة التدريس بالاشتراك مع المسؤولين عن هذا المشروع إعداد خطة عمل متكاملة تستند على أساسيات ممارسة المهنة في الواقع. كما تقوم هيئة الإشراف بمتابعة هذه المشروع التجريبي في كل مراحله ومحاولة تطويره بالاعتماد على طلاب الفصول الدراسية المختلفة. وفي هذا المجال يمكن اختيار مشروع إعادة تأهيل في منطقة محددة، واختيار مجموعات مختلفة من الفصول الدراسية للقيام بمهام محددة لهذا المشروع، كأن يقوم طلاب التخطيط العمراني (السنة الخامسة) بعمل دراسات جمع المعلومات الأولية وتفريغها والوصول إلى نتائج رقمية ووصفية للمكان ووضع الاستراتيجيات، ثم يقوم طلاب قسم العمارة (فصول التصميم العمراني- في السنة الرابعة) بالاشتراك مع طلاب قسم عمارة البيئة (السنة الرابعة أيضا) بعمل دراسات تحليل المواقع والمخطط العام، ويمكن توزيع بعض المهام الأخرى في بعض المقررات ليقوم بها الطلاب كتمارين خاصة بالتعلم، ولتكون مفيدة بعد أن يرى الطالب أن ما يتعلمه حقيقي، على سبيل المثال، يمكن أن يقوم طلاب مقرر هندسة المواقع بتطبيق مسائل رسم طبوغرافية المواقع (خطوط الكنتور) وتحديد الميول، ومناطق الارتفاع والانخفاض في المناطق ذات القيمة في المشروع الإرشادي ويقدمه لطلاب التصميم ليعملون عليه، وكذلك مادة التصميم بالنباتات في واقع الحال، الأمر يحتاج إلى خطة عمل يشترك فيها أقسام كليات العمارة بكاملها، مع المسؤولين المختصين في الجهات التنفيذية.

– **الانفتاح على العالم العربي** بمعنى توسيع أوجه التبادل المعرفي والتعليمي بين الجامعات على مستوى العالم العربي، تبدأ من المناطق المتقاربة بداية مثل منطقة الخليج العربي، بين السعودية والبحرين، بين الكويت والإمارات وعمان، وهكذا. بالإضافة إلى إمكانية اشتراك فصول دراسية في جامعات عربية مختلفة على مشروع إعادة تأهيل واحد، فالعالم أصبح وثيق الصلة ببعضه، ويحتاج الطالب أن يمر بخبرات كثيرة خارج وطنه الأم، كما يحتاج الوطن لخبرات وعيون خارجية ترى مجتمعه.

– **المسابقات المعمارية بين الطلاب على مستوى العالم العربي** على الجهات المسؤولة عن إعادة تأهيل المناطق ذات القيمة وضع الجامعة في حسابها، ولعل التجربة الأولى يمكن أن تكون من خلال مسابقة معمارية بين طلاب أقسام كليات العمارة والتخطيط في العالم العربي، فالمشروع محدد من قبل الجهة التي ترغب في التهيئة وإعادة التأهيل، مدة المسابقة فصل دراسي كامل (أربعة شهور)، والخطوط العريضة للمسابقة تتناسب مع متطلبات العميل ومع متطلبات المقرات الدراسية، والمنتج من خرائط ومجسمات ورسوم إيضاحية يتم تسليم للجهة صاحبة المشروع مع حق الاحتفاظ بصورة للجامعة لعرضها في معرض الكلية، مع تحديد جوائز رمزية للمتسابقين ومساهمة الجامعة والجهة المسؤولة عن المشروع في تحمل النفقات الإضافية لإخراج المشروع بشكل لائق.

– **إعداد أوراق عمل** تبحث في دور الجامعة في الإسهام في مشروعات إعادة تأهيل المناطق ذات القيمة.

٥. خاتمة وتوصية

العملية التعليمية والممارسة المهنية قطبين لهدف واحد، طاقة الطلاب فاعلة، الحفاظ على التراث العمراني يتم بالفعل وفق أسس علمية وبمعرفة الطلاب وتحت إشراف متخصصين، إذن يمكن أن تساهم الجامعة على مستوى العملية التعليمية بدور فاعل في إيجاد بعض الحلول على مستوى الواقع المهني التطبيقي. ومن ثم توصي هذه الدراسة بضرورة رسم دور مناسب للكيفية التي يمكن أن يساهم بها الطلاب في مراسم التصميم العمراني البيئي في اختيار وإعداد مشروعات إعادة التأهيل.

obeikandl.com